مجلة الدراسات الاجتماعية

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن جامعة العلوم والتكنولوجيا

رئيس التحرير

أ. د. داود عبدالملك الحدابي

نائب رئيس التحرير

د. نوري عبد الودود الجناعي

مدير التحرير

د. علي بن العجمي العشي

الهيئة الاستشارية

أ. د. صالح علي باصرة	أ. د. عبدالعزيز المقالح
أ. د. ناصر عبدالله العولقي	أ. د. حسن محمد الأهدل
أ. د. عبدالواحد الزنداني	أ. د. رياض القرشي
أ. د. محمد عبدالله الصوفي	أ. د. محمد الأفندي
أ. د. عزة غانم	أ. د. عبدالرحمن الشجاع
أ. د. عبدالرحمن عبدربه	أ. د. عبدالوهاب لطف الديلمي
أ. د. محمد حاتم المخلافي	أ. د. محمد الربيدي
أ. د. محمد سنان الجلال	أ. د. إسماعيل مسعود
أ. د. عبدالغني قاسم الشرجبي	أ.د. محمود فتحي عكاشة

مجلة الدراسات الاجتماعية المجلد (11) العدد (22) يونيو ـ ديسمبر 2006م

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان الآتي

مجلة الدراسات الاجتماعية ـ جامعة العلوم والتكنولوجيا ـ الإدارة العامة ـ صنعاء

ص ب 13064 ـ هاتف 373240 فاكس 373234

المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
الافتتاحية . أ. د داود عبد الملك الحدابي	11
التنبؤ بجودة الخدمة التعليمية المقدمة لطلاب الجامعات في سياق مفاهيم العولمة أ.د داود عبد الملك الحدابي ـ أ.د محمود فتحي عكاشة	13
الرضى الوظيفي للعاملين في الشركة اليمنية لتكرير النفط . د أنس عبد الباسط عباس	47
المد القرآني (دراسة دلالية) . د نجيب عبد الله السودي	91
السنن الإلهية في ظلال القرآن (دراسة وتحليل) . د حسن ناصر سرار	127
الإحسان إلى غير المسلمين في ضوء مقاصد القرآن والسنة . د محمد إقبال أحمد فرحات	173
الظَّواهِرُ اللُّغَويَّةُ في قراءةِ الإمام الزُّهْري 50 ـ 124هـ . د عبد الفتاح محمد عبوش	201
فاتحو مصر من البدريين نقصٌ وتوثيق . د فاضل عبد الله رضوان	237
جغرافية الصين عند الجغرافيين العرب . د قيس عبد العزيز مهدي	303

الأبحاث مرتبة حسب أسبقية ورودها إلى المجلة.

المدُ القرآني (دراسة دلالية)

. د نجيب علي عبدالله السودي
أستاذ اللغويات المساعد
جامعة تعز

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى إبراز جانب من جوانب إعجاز القرآن الكريم، وهو الإعجاز على المستوى الصوتي في القرآن، وذلك من خلال دراسة العلاقة الدلالية بين أقسام المد القرآني والمعنى العام للآية أو الكلمة الوارد فيها، مستعرضا للقضايا الآتية

- التعرف على أهمية المد بداية
- الإطلاع على معناه وتعاريفه سواء على المستوى اللغوي أو الاصطلاحي .
- استعراض أسبابه اللفظية والمعنوية .
- التعرف على الأقسام الأساسية للمد، والتي تتمثل في :
  1. المد اللازم
  2. المد الجائز المنفصل .
  3. المد الواجب المتصل .
- سرد بعض الشواهد التي تشير إلى طبيعة العلاقة بين نوع المد والمعنى العام للآية التي ورد فيها المد
- الاستهداء بأقوال المفسرين وعلماء اللغة وغيرهم في فهم المعنى العام للآية .

- محاولة إبراز الترابط الدلالي والمعنوي بين نوع المد والمعنى، من خلال التأمل الهادئ والنظر الدقيق، للوصول إلى بيان العلاقة دونما تعسف أو لي لعنق المعنى ليتوافق مع ما أريد .

والغرض الأسمى لهذا البحث هو إثارة الموضوع أمام الدارسين لينال حظه من الدراسة، على الرغم من وعورة المسلك، وبعد المنال، ودقة الملحظ

مقدمة :

مما يؤمن به الإنسان أن هذا القرآن هو كلام الله وكتابه، أنزله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه فيه بعدد من الأوامر والتوجيهات

من هذه الأوامر ما يتعلق بكيفية قراءة هذا القرآن قال تعالى لنبيه (ورتل القرآن ترتيلا) [1] قال الزمخشري في تفسير هذه الآية:(ترتيل القرآن قراءته على ترسل و تؤدة بتبيين الحروف وإشباع الحركات) [2] ، وقال الشوكاني:(أي أقرأه على مهل مع تدبر) [3]، وقال ابن عاشور:(أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقرأ القرآن بمهل وتبيين).[4]

وقد التزم النبي صلى الله عليه وسلم بتوجيه الله له ، فقد ثبت عن قتادة رضي الله عنه أنه قال سألت أنس بن مالك رضي الله عنه عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقال :(كان يمدّ مدّاَ) [5] ورُوي عنه بلفظَ أخر يقول سألت أنسا كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (كان يمدّ صوته مدّاَ.)[6]

وكذلك كان يعلمها أصحابه ويقرؤهم القرآن ، فقد أخرج سعيد بن منصور في سننه حدثنا شهاب بن خراش حدثني مسعود بن يزيد الكندي قال:

---

(1) سورة المزمل آية 4

(2) الزمخشري جار الله محمود بن عمر ـ الكشاف ـ دار الفكر ـ بيروت ـ د ت.ط ـ ج4 ـ ص175

(3) الشوكاني محمد بن علي ـ فتح القدير ـ ت سعيد اللحام ـ المكتبة التجارية ـ مكة المكرمة .د ت ط ـ ج5 ـ ص443 .

(4) ابن عاشور محمد الطاهر ـ التحرير والتنوير ـ الدار التونسية للنشر ـ تونس ـ 1984م ـ ج 29 ص260

(5) البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ـ صحيح البخاري ـ ط3 ـ دار ابن كثير ـ ضبط مصطفى البغا دمشق ـ 1987م حـ4 ص 1924 باب القراءة.

(6) النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ـ سنن النسائي ـ ط1 ـ تصحيح محمد الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ 1988م ج1 ص 219 باب الصوت بالقراءة

كان ابن مسعود يقرئ رجلاً ، فقرأ الرجل" إنما الصدقات للفقراء والمساكين مرسلة ، فقال ابن مسعود ما هكذا أقرانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال كيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال أقرانيها" إنما الصدقات للفقراء والمساكين ، فمدّ) ، قال ابن الجزري بعد إيراده هذا الأثر (وهذا حديث جليلٌ حجةٌ، ونصٌ في هذا الباب ، رجال إسناده ثقات)[7].

فكل هذه الآثار والأخبار الواردة سلفاً تدلّل لنا على مكانه المدّ وأهميته في أثناء قراءتنا للقرآن الكريم

فيا ترى ما هو المدّ، وما هي حروفه، وما أسبابه وأقسامه ؟

هذا هو ما نطمح فيما يلي إلى بيانه وإيضاحه وكشف اللثام عنه

تعريف المدّ:

في اللغة :

يعرفه الخليل بن أحمد بأنه (الجذب، والمدّ كثرة الماء أيام المدود، ومدّ النهر، وامتدّ الجبل هكذا قالته العرب، ومدّ الله عمرك ، أي جعل لعمرك مدة طويلة، والامتداد في الطول، وامتدّ بهم السير أي طال وسبحان الله مداد كلماته، من المدّ لا من المداد الذي يكتب به، ولكن معناه على قدر كثرتها وعددها)[8].

ويذكر ابن منظور في تعريفه للمدّ بأنه:(الجذب والمطل، وفلان يمادّ فلانا أي يماطله ويجاذبه، والتمدد كتمدد السقاء، وكذلك كل شيء تبقى فيه سعة المدّ، ومدّه في غيه أي أمهله وطوّله ومدّ الحرف يمّده مدّاً طوله

(7) ابن الجزري أبو الخير محمد ـ النشر في القراءات العشر ـ ت علي الضباع ـ دار الفكر ـ بيروت ـ د ت.ط ـ ج1 ص316

(8) الفراهيدي الخليل بن أحمد ـ معجم العين ـ ت مهدي المخزومي ـ دار الهلال ـ القاهرة ـ د.ت.ط ـ ج 8 ص 16، 17 .

وكل شيء امتلأ وارتفع فقد مدّ ، ومدّ النهار إذا ارتفع ويقال سبحان الله مداد السموات ومداد كلماته ، ومددها أي مثل عددها وكثرتها وقيل قدر ما يوازيها في الكثرة ومادّ فيها أي أطالها)[9].

وفي مقاييس اللغة لابن فارس (الميم والدال أصل واحد يدل على جر شيء في طول ، واتصاله شيء بشيء في استطالة نقول مددت الشيء أمدّه مدّا)[10].

وهو عند الزمخشري بمعنى الزيادة قال (مدد مدّ الحبل وغيره فامتد ، ومادّه الثوب وتمادّاه ، وهذا الوادي يمدّ في وادي كذا يزيد فيه، ومن المجاز امتد النهار والظل ، وظل ممدود وممتد، ومدّ الله الظل، وامتد به م السير، وامتدت الحلة، وامتد العمر، وأقمت عنده مدّة مديدة ، وأتيته مدّ النهار، ومدّ الضحى وهو ارتفاعه، وفلان يمادّ فلانا يطاوله ويماطله، وله مال ممدود كثير)[11].

وجاء في المعجم الوسيط (مدّ النهار مدّا انبسط ضياؤه ، ومدّ فلان في سيره مضى، ومدّ الشيء زاد فيه ، ومدّ الله الأرض بسطها، ومدّ الأجل أطاله، ومدّ المدين أمهله، ومدّ الحبل جذبه وطوّله ، ومدّ الحرف طوّله في النطق أو الكتابة، ومدّ الله عمره أطاله، ومدّ بصره إلى كذا طمح إليه ، ومادّه ممادّة ماطله وطاوله ، ومادّ فلانا الثوب جاذبه إياه ومدد الشيء بسطه وطوّله، والتمدد زيادة سطح الجسم أو حجمه أو مساحته أو طوله ويقال سبحان الله مداد السموات مدى امتدادها والمدّ السيل، وكثرة الماء، والمدّ:

---

(9) ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم ـ لسان العرب ـ نسقه علي شيري ـ ط1 ـ دار إحياء التراث ـ بيروت ـ 1988م ـ ج3 ص 397 ـ 401 .

(10) ابن فارس أحمد ـ مقاييس اللغة دون معلومات طبع ج 2 ص 232 .

(11) الزمخشري جارالله محمود بن عمر ـ أساس البلاغة ـ ط 3 ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ 1985م ـ ج2 ص 372، 373 .

ارتفاع النهار، والمدّ ارتفاع ماء البحر على الشاطئ ضد الجزر، والممدود الكثير)[12]

من هذه التعريفات يمكن أن نخرج بمعنى المدّ في المفهوم اللغوي بأنه ما أفاد:

(الجذب، الكثرة، الطول، المطل، التوسع، الإمهال، الارتفاع، اتصال الشيء في استطالة، الزيادة، التطاول، والانبساط)

ومن هنا نلحظ امتداد مصطلح المدّ ليشمل هذه المعاني جميعها

مفهوم المدّ في الاصطلاح:

عرفه ابن الجزري بقوله (هو عبارة عن زيادة مطّ في حرف المدّ على المدّ الطبيعي، وهو الذي لا يقوم ذات حرف المد دونه)[13]

وفي سراج القارئ (المدّ طول زمان الصوت، والقصر الأصل)[14]

هذا الطول الزماني للصوت هو ما يطلق عليه المدّة، قال أبو البقاء (وسميت المدّة مدّة لأنها تمتد بحسب تلاصق أجزائها وتعاقب أبعاضها، فالامتداد إنما يصح في حق الزمان والزمانيات)[15].

إذاً فالمدّ في الاصطلاح لم يبعد عن المعنى اللغوي من حيث دلالته على الزيادة، والطول

(12) مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط ـ ط3 ـ القاهرة ـ 1981 م ـ ج 2 ـ ص 892

(13) النشر في القراءات العشر ج 1 ص 313 .

(14) البغدادي أبو القاسم علي بن عثمان ـ سراج القارئ المبتدئ وتذكار القارئ المنتهي ـ ت علي الصباغ ـ ط3ـ مطبعة الحلبي ـ القاهرة ـ1954ـ ص 32 .

(15) الكفوي أبو البقاء ـ الكليات ـ ت عدنان درويش ـ ط 1 ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ 1992 ـ ص 874 .

هذا وإن للمدّ أصواتاً بعينها تسمى أصوات المدّ أو الأصوات الصائتة أو المصوتة أو أصوات العلة أو الأحرف الهوائية أو الجوفية، فكلها مسميات والمسمى بها واحد، هذه الأصوات هي (الألف والياء والواو)[16].

قال مكي بن أبي طالب:(المدّ لا يكون إلا في حروف المدّ واللين، وهي الألف التي قبلها فتحة، والواو التي قبلها ضمة، والياء التي قبلها كسرة) [17] ، وسار على نهجه ابن الجزري ومن خلفه، ومن قبلهم وقف سيبويه مع هذه الأحرف قائلاً (فأما الأحرف الثلاثة فإنهن يكثرن في كل موضع، ولا يخلو منهن حرف أو من بعضهن ، إلا أن الواو لا تلحق أولاَ، ولا الياء أولاَ فيما ذكرت ، ثم ليس شيء من الزوائد يعدل كثرتهن في الكلام ، هنّ لكل مدّ ، ومنهن كل حركة، وهن في كلّ جميع)[18].

ويقول ابن جني في خصائصه (والحروف الممطولة هي الحروف الثلاثة اللينة المصوتة وهي الألف والياء والواو)، ثم يقول (اعلم أن هذه الحروف أين وقعت وكيف وجدت بعد أن تكون سواكن يتبعن بعضهن غير مدغمات، ففيها امتداد ولين ، نحو قام، وسِير به وحوت)[19].

وأما السر في مدّ هذه الأحرف وإطالة الصوت بها فهو كما يراه إبراهيم أنيس (الحرص على صوت اللين وطوله لئلا يتأثر بمجاورة الهمزة أو الإدغام، لأن الجمع بين صوت اللين والهمزة كالجمع بين متناقضين)[20].

---

(16) معجم العين ج 1 ص 60 .

(17) القيسني مكي بن أبي طالب ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع ـ ت محي الدين رمضان ـ ط5ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ 1997 ـ ج 1 ص 45 .

(18) سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان ـ الكتاب ـ ت عبدالسلام هارون ـ ط 3 ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ 1983 ـ ج 4 ص 318 .

(19) ابن جني أبو الفتح عثمان ـ الخصائص ـ ت محمد علي النجار ـ ط 1 ـ المكتبة العلمية ـ القاهرة ـ 1952 م ـ ج 3 ص 126 .

(20) ابراهيم أنيس الأصوات اللغوية ـ دون معلومات طبع ـ ص 154 .

وعلة هذا التناقض نجدها عند الخليل أنها جميعها من مخرج واحد ، حيث يقول:(والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد لأنها لا يتعلق بها شيء)[21].

ويرى سيبويه أن (هذه الثلاثة ـ الألف والياء والواو ـ أخفى الحروف لاتساع مخرجها ، وأخفاهن وأوسعهن مخرجاً الألف ، ثم الياء ، ثم الواو)[22].

ولذلك قال ابن جني (فإن اتسع مخرج الحروف حتى لا يقتطع الصوت عن امتداده واستطالته، استمر الصوت ممتداً حتى ينفد ، فيفضي حسيراً إلى مخرج الهمزة فيقطع بالضرورة عندها إذا لم يجد مقطعاً فيما فوقها ، والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة الألف ثم الياء ثم الواو)[23].

ويعلل لذلك في كتابه الخصائص، بابّ مطل الحروفّ بقوله (وإنما تمكن المد فيهن مع الهمز لأن الهمزة حرف تأتى منشؤه وتراخى مخرجه ، فإذا أنت نطقت بهذه الأحرف المصوتة قبله ، ثم تماديت بهن نحوه طُلن ، وشُعن في الصوت ، فوفين له ، وزدن في بيانه ومكانه، وليس كذلك إذا وقع بعدهن غيرها وغير المدّ ، ألا تراك إذا قلت كتاب وحساب وسعيد وعمود وضروب ، لم تجدهن لدنات ولا ناعمات ولا وافيات مستطيلات كما تجدهن كذلك إذا تلاهن الهمز أو الحرف المشدد)[24].

كان هذا سبب مدّ هذه الأحرف مع الهمز ، أما مدّهن مع الحرف المشدد ، فيبين علته قائلاً (وأما سبب نعمتهن ووفائهن وتماديهن إذا وقع المشدد بعدهن؛ فلأنهن ـ كما تر ى ـ سواكن، وأول المثلين مع التشديد ساكن ،

---

(21) العين ـ ج 1 ص 85 .

(22) الكتاب ـ ج 4 ص 436 .

(23) ابن جني أبو الفتح عثمان ـ سر صناعة الإعراب ـ ت حسن هنداوي ـ ط2 ـ دار القلم ـ دمشق ـ 1993 م ـ ج 1ص.12

(24) الخصائص ج 3 ص 126 .

فيجفو عليهم أن يلتقي الساكنان حشواً في كلامهم ، فحينئذٍ ما ينهضون بالألف بقوة الاعتماد عليها ، فيجعلون طولها ووفاء الصوت بها ، عوضا مما كان يجب لالتقاء الساكنين من تحريكها ، إذا لم يجدوا عليه تطرقاً ، ولا بالاستراحة إليه تعلقا)[25].

ومن الأصوات التي تمدّ صوتا اللين وهما(الياء والواو) الساكنان المسبوقان بالفتح، قال مكي (ويكون المدّ أيضاً في حرفي اللين إذا أتت بعدهما همزة أو مشدد ، وحرفا اللين الواو والياء الساكنتان اللتان قبلهما فتحة نحو شيء، وسوء)[26].

ويعلل ابن الجزري دخول المدّ في صوتي اللين في قوله:(وإنما اعتبر شرط المدّ فيهما مع ضعفه بتغير حركة ما قبله؛ لأن فيهما شيئا من الخفاء، وشيئا من المدّ وإن كانا أنقص في الرتبة مما في حروف المدّ)[27].

ويشترط للمدّ في صوتي اللين أن يكونا ساكنين، وأن يُفتح ما قبلهما ويُسكن ما بعدهما سكونا عارضا في حالة الوقف

أسباب المدّ:

بداية نشير إلى أن حروف المدّ مدات في حد ذاتها ، قال مكي (وحروف المد واللين، هنّ مدات في خلقهن، ولابد فيهن من المدّ على انفرادهن، وإن قلّ)[28].

فهذه الحروف في حالتها الطبيعية لابد فيها من مدّ، وإن كان قليلا ، إلا أنها قد يزاد في مدّها وطول الصوت بها ضعفا من ذلك أو ضعفين، وحينها لا

(25) الخصائص ج 3 ص 127 .

(26) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج 1 ص45

(27) النشر في القراءات العشر ج 1 ص 313 .

(28) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج 1 ص 62 .

يكون ذلك إلا لسبب، جاء في الخصائص قوله (إلا أن الأماكن التي يطول فيها صوتها، وتتمكن مدتها ثلاثة وهي أن تقع بعدها ـ وهي سواكن توابع لما هو منهن وهو الحركات من جنسهن ـ الهمزة، أو الحرف المشدد أو أن يوقف عليه عند التذكر)[29].

إذا فابن جني يرى أن الأسباب التي تمدّ فيها هذه الأحرف فوق طبيعتها ثلاثة هي أن يتبعها الهمز أو الإدغام أو الوقف عليها للتذكر

وقد جعلها ابن الجزري ـ وفقا لما سب ق ـ على قسمين أسباب لفظية، وأسباب معنوية فقال (وتلك زيادة لا تكون إلا لسبب ، والسبب إما لفظي وإما معنوي، فاللفظي إما همزة وإما ساكن وأما السبب المعنوي فهو قصد المبالغة في النفي، وهو سبب قوي مقصود عند العرب وإن كان أضعف من السبب اللفظي عند القراء)[30].

وسنبدأ بالوقوف على الأسباب اللفظية لنعرض بعضا من أحكامها، وأول هذه الأسباب

ـ مجيء الهمزة بعد حرف المدّ:

ومجيء الهمزة بعد حرف المدّ إما أن يكون في كلمة واحدة، وإما أن يكون حرف المدّ في كلمة والهمزة في أخرى

يقول الداني (اعلم أن الهمزة إذا كانت مع حرف المدّ واللين في كلمة واحدة ، سواء توسطت أو تطرفت فلا خلاف بينهم في تمكين حرف المد زيادة ، وذلك نحو قوله عز وجلّ أولئك وّ شاء"اللّه " و الملائكّة " و يضيّء و هاؤم ")[31].

(29) الخصائص ج 3 ص 126 .

(30) النشر في القراءات العشر ج 1 ص 313 .

(31) الداني أبو عمرو عثمان بن سعيد ـ التيسير في القراءات السبع ـ ت أوتويرتزل ـ ط1 ـ دار الكتب العلمية ـ

هذا النوع أطلق عليه اسمّ المدّ المتصل "، قال ابن الجزري (فأما المتصل ، فاتفق أئمة أهل الأداء من أهل العراق ـ إلا القليل منهم ـ، وكثير من المغاربة على مدّه قدرا واحدا مشبعا من غير إفحاش ولا خروج عن منهاج العربية)[32].

ويسمى(المدّ الواجب المتصل)، وسُمي واجباً لإجماع القراء على مده زائداً عن المد الطبيعي، وسُمي متصلاً لاتصال الهمزة والمدّ في كلمة واحدة، ومقدار مدّه 4ـ6 حركات

النوع الثاني وهو الذي يقع فيه حرف المدّ في كلمة والهمزة في كلمة أخرى، وهو ما يسمى بالمدّ المنفصل، يقول عنه ابن الجزري:(وأما المنفصل، ويقال له أيضا مدّ البسط لأنه يبسط بين كلمتين، ويقال مدّ الفصل لأنه يفصل بين الكلمتين، ويقال له مد الاعتبار لاعتبار الكلمتين من كلمة، ويقال مدّ حرف لحرف أي مدّ كلمة لكلمة، ويقال المدّ الجائز من أجل الخلاف في مده وقصره، وقد اختلفت العبارات في مقدار مدّه اختلافا لا يمكن ضبطه، ولا يصح جمعه)[33].

ونلحظ هنا أن هذا المدّ يسمى بالمدّ الجائز لاختلاف القراء في مدّه، فمنهم من يمده ومنهم من لا يمده، يوضح أبو عمرو الداني ذلك في قوله (فإذا كانت الهمزة أول كلمة، وحرف المد آخر كلمة أخرى، فإنهم يختلفون في زيادة التمكين لحرف المدّ هناك)[34].

ويشير البناء إلى أن هذا الخلاف إنما هو في الوصل ، أما في حالة الوقف على الكلمة الأولى التي فيها حرف المدّ، فلا خلاف بينهم أنه لا مدّ، حيث قال

بيروت ـ 1996 م ـ ص 34 .

(32) النشر في القراءات العشر ج 1 ص 314 .

(33) المصدر السابق ج 1 ص 319 .

(34) التيسير في القراءات السبع ص 34 .

(ثم إن الخلاف إنما هو في الوصل، وإذا وقف عاد الحرف إلى أصله وسقط المدّ)[35].

هذا ولكل فريق حجته، وهذه الحجج يوردها مكي بن أبي طالب في قوله (وحجة ابن كثير والرقيين عن أبي عمرو والحلواني عن قالون في ترك إشباع المدّ في حرف المدّ واللين إذا وقع في أخر كلمة وأتت بعده همزة في أول كلمة أخرى، أن الهمزة لما لم تكن لازمة لحرف المدّ واللين إذ ينفصل منه في الوقف، ضَعُف المدّ لأجلها، وأُمِن خفاء حرف المدّ واللين مع الهمزة، فمدّ لذلك مدّا كما يخرج لا إشباع فيه، وأيضا فإنه أجرى الوصل مجرى الوقف، ولا اختلاف أن الوقف لا مدّ فيه

وحجة من مدّ هذا النوع، وهم بقية القراء ـ غير من ذكرنا ـ أنه عامل اللفظ فمدّ لملاصقة الهمزة حرف المدّ واللين لئلا يخفى مع الهمزة، ولم يعرج على الوقف لأنه عارض، وأيضا فإن أنساَ سئل عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقالٌ كان يمدّ صوته"مدّا فهذا عموم في كل ممدود، وذكر الصوت يدل على نفس المدّ، وتأكيده بالمصدر يدل على إشباع المدّ)[36].

السبب الثاني من الأسباب اللفظية :

مجيء السكون بعد حرف المدّ ، قال مكي (واعلم أن المدّ مع الساكن بعد حرف المدّ واللين، والمشدد بعد حرف المد واللين، إذا وقع بعده ساكن مشدد، أو غير مشدد، لابد فيه من المدّ ضرورة ليصل بالمدة إلى اللفظ بالساكن) [37] ، وقال ابن الجزري موضحا وجه المدّ في التقاء حرف المدّ

(35) البناء أحمد عبدالغني الدمياطي ـ إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ـ دار الندوة ـ بيروت ـ د.ت.ط ـ ص 37 .

(36) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج 1 ص 56 .

(37) المصدر نفسه ج 1 ص 68 .

بالساكن:(ووجه المدّ الساكن المتمكن من الجمع بينهما ، فكأنه قام مقام حركة ، وقد أجمع الأئمة على مدَ نوعي المتصل وذي الساكن اللازم وإن اختلفت آراء أهل الأداء، أو آراء بعضهم في قدر ذلك المد)[38].

أما كيف يقوم المدّ مقام حركة فيوضح ذلك مكي في قوله (فلما وقع بعد حروف المد واللين وحرفي اللين حرف مشدد وأوله ساكن، وحروف المد واللين وحرفا اللين سواكن ، لم يكن أن يوصل إلى اللفظ بالمشدد وكانت المدّة أولى؛ لأن الحرف الذي قبل المشدد حرف مدّ، فزيد في مدّه لتقوم المدّة مقام الحركة، فيتوصل بذلك إلى اللفظ بالمشدد، وهذا إجماع من العرب ومن النحويين والعلة في المدّ للساكن غير المشد د تقع بعد حروف المدّ واللين ، كالعلة في المدّ للمشدد، لأن بالمدة يوصل إلى اللفظ بالساكن بعد حرف المدّ واللين، فليس في كلام العرب ساكن يلفظ به إلا وقبله حرف متحرك، أو مدّة على حرف مد تقوم مقام الحركة)[39].

وفي ذلك يقول ابن جني (وأما سبب نعمتهن ووفائهن وتماديهن إذا وقع المشدد بعدهن فلأنهن ـ كما ترى ـ سواكن وأول المثلين مع التشديد ساكن، فيجفو عليهم أن يلتقي الساكنان حشوا في كلامهم ؛ فحينئذ ما ينهضون بالألف بقوة الاعتماد عليها فيجعلون طولها ووفاء الصوت بها عوضا مما كان يجب لالتقاء الساكنين من تحريكها إذا لم يجدوا عليه تطرقا، ولا بالاستراحة إليه تعلقا، وذلك نحو شابة ودابة)[40] ، وهناك كلمات أخرى وردت في القرآن الكريم من مثلّ الحاقّة، الصاخّة، الطامّة، .رادّوه، .وغيرها

(38) النشر في القراءات العشر ج1 ص 314 .

(39) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج 1 ص 58 .

(40) سر صناعة الإعراب ج 1 ص 27 .

هذا النوع من المدّ أجمع القراء على مدّه، قال ابن الجزري (فإن القراء مجمعون على مدّه مسبقاً قدرا واحدا من غير إفراط، لا أعلم في ذلك خلافاً سلفا ولا خلفاً)[41].

وهذا النوع من المد يطلق عليه علماء التجويد المدّ اللازم.

العلاقة بين نوع المد والمعنى :

نحاول في هذه الجزئية من الدراسة أن نعرض للإجابة عن سؤالين مفادهما

هل هناك علاقة بين أنواع المدّ والمعنى ؟ ما هي الدلالات الإيحائية التي يمكن أن نستشفها من نوعية المدّ ؟

ولبيان الإجابة عن هذين السؤالين، سأتناول هذه الأنواع الثلاثة من المدّ مرتباً إياها الترتيب المعتبر لدى علماء التجويد، حيث يقولون عن المد

أحكامه ثلاثة ترتب فلازم وجائز وواجب[42].

محاولاً إيجاد العلاقة التي تربط نوع المدّ بالمعنى العام للكلمة أو الجملة التي ورد فيها هذا النوع، وذلك على النحو الآتي

أولاً: المد اللازم :

ويتحقق إذا وقع بعد حرف المدّ ساكن، وسُمّي لازماً للزوم مدّه ليصل بالمدّة إلى اللفظ بالساكن

من شوهد المدّ اللازم:

1. قول الله سبحانه وتعالى لأم موسى (إنا رادّوه إليكِ وجاعلوه من المرسلين)[43].

(41) النشر في القراءات العشر ج 1 ص 316 .

(42) العنبتاوي سعيد بن أحمد بن علي ـ حلية القراء ـ ط 1 ـ دار العرفان ـ عمان ـ 1999 م ـ ص 110 .

(43) سورة القصص آية 7 .

هذه الآية فيها وعد من الله عز وجل لأم موسى أنه سيرد إليها ولدها موسى عليه السلام بعد أن تلقيه في اليم ، ونهاها عن الخوف والحزن، والجملة في موقع العلة للنهيين، لأن ضمان ردّه إليها يقتضي أنه لا يهلك وأنها لا تشتاق إليه بطول المغيب .[44]

فكان لزاماً تحقق الوعد وإيفاؤه،لأنه وعد من الله ووعد الله حق ، وقد كان ذلك (فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون).[45]

فالمدّ لازم ، وإيفاء الوعد لازم، وتحقق الردّ لازم، وهذه هي العلاقة بين نوع المدّ والمعنى واضحة جلية

2. قول المولى عز وجل (ولا يضارّ كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم).[46]

في الآية نهى عن المضارّه، وفيها قراءتانّ يضارِرَ ، يضارَرَ "، [47] فتكون مع الإدغام والتشديد محتملة لأن تكون مبنية للفاعل أو مبنية للمفعول، فعلى المعنى الأول يكون النهي للكاتب والشاهد عن ترك الشهادة، وترك الإجابة إلى ما يطلب منهما، وعن التحريف والزيادة والنقصان، وعلى الثاني النهي عن الإضرار بهما بأن يعجلا عن مهم أو لا يعطى الكاتب حقه من الجعل، أو يحّمل الشاهد مئونة المجيء من بلده.[48]

---

(44) التحرير والتنوير ج 20 ص 115 .

(45) سورة القصص آية 13 .

(46) سورة البقرة آية 282 .

(47) النشار أبو حفص ـ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ـ ت على معوض وآخرون ـ ط1ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ2000م ـ ج1 ص194 .

(48) روح المعاني ـ ج3 ص 61 .

إذا أصبح عدم الإضرار بالكاتب والشاهد أو منهما لازماً، لأنه لو حدث ذلك فهو فسوق وعصيان فناسب هذا المعنى هذا المدّ اللازم في هذه الكلمة

3. الطامّة، الصاخّة، الحاقّة:

الطامّة : هي الحادثة أو الواقعة التي تطم، أي تعلو وتغلب بمعنى تفوق أمثالها من نوعها بحيث يقل مثلها من نوعها ، مأخوذ من طمّ الماء إذا غمر الأشياء، وهذا الوصف يؤذن بالشدة والهول، إذ لا يقال مثله إلا في الأمور المهولة، والقيامة تطم على كل شيء، وتسمى الداهية التي لا يستطاع دفعها طامة .[49]

والصاخة : صيحة شديدة من صيحات الإنسان تصخ الأسماع أي تصمها.[50]

الحاقة: اسم فاعل من حق الشيء يحق إذا كان صحيح الوجوب ، ومنه حقت كلمة العذاب، والمراد به القيامة والبعث، وقال ابن عباسٌ رضي الله عنهمّا سميت القيامة حاقة، لأنها تبدي حقائق الأشياء.[51]

وهذه الكلمات عبارة عن أسماء ليوم القيامة، ويوم القيامة آت لا محالة ولا ريب ولا شك فيه ، فهو لازم الوقوع ، والآيات الدالة على ذلك كثيرة

وأغلب ظني أن هذا المدّ اللازم يوحي بلزوم تحقق معنى الكلمة الوارد فيها ، وهذا ظاهر من جميع الآيات التي تتحدث عن وقوع الساعة

يقول ابن عاشور في حديثه عن الحاقة (وإيثار هذه المادة وهذه الصيغة يسمح باندراج معانٍ صالحة بهذا المقام، فيكون ذلك من الإيجاز البديع لتذهب نفوس السامعين كل مذهب ممكن من مذاهب الهول والتخويف بما يحق حلوله بهم).[52]

---

(49) مجمع البيان ج 5 ص 342 .

(50) التحرير والتنوير ج 15 ص 134 .

(51) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج 16 ص 92

(52) التحرير والتنوير ج 14 ص 112 .

4. دابة :

قال تعالى (وبث فيها من.كل دابة. الآية) [53].

الدابة في اللغة تعني كل ما دب ، قال ابن منظور (دابة اسم لما دب من الحيوان مميزة و غير مميزة ، وفي التنزيل العزيز والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه" (سورة النور)، ولما كان لما يعقل ولما لا يعقل، قيل فمنهم ، ولو كان لما لا يعقل لقيل فمنها أو فمنهن، والمعنى كل نفس دابة والمراد بها العموم)[54].

ويذكر ابن عطية أن لفظ دابة (تجمع الحيوان كله، وقد أخرج بعض الناس الطير من الدواب ، وهو مردود بقول الأعشى دبيب قطا البطحاء في كل منهل ، وقال علقمة بن عبده صواعقها لطيرهن دبيب) [55].

إذاً فلفظ دابّة قد امتد ليشمل كل ما دب على وجه الأرض ، ليس هذا فحسب، بل ويعني الإكثار من هذه الدواب، قال ابن عاشور في تفسير الآية السابقة (أي أكثر فيها عددا من كل نوع من أنواع الدواب، بمعنى أن كل نوع من أنواع الدواب ينبث بعض كثير من كل أنواعه، فالتنكير في دابة للتنويع؛ أي أكثر الله من كل الأنواع لا يختص ذلك بنوع دون آخر، والدابة ما دب على وجه الأرض، وقد آذنت كلمة كل بأن المراد جميع الأنواع فانتفى احتمال أن يراد من الدابة خصوص ذوات الأربع)[56].

من خلال الكلام السابق يمكننا القول بأن لفظ دابّة بما فيه من مد لازم يوحي لنا بلزوم إطلاقه على كل ما دب على هذه الأرض، وأن البث الذي

---

(53) سورة البقرة أية 164 .

(54) لسان العرب ج 2 ص 1314 .

(55) المحرر الوجيز ج 2 ص 35 .

(56) التحرير والتنوير ج 2 ص 84 .

حدث للمخلوقات لاشك أنه لازم كل المخلوقات وكل الدواب دونما استثناء، والله أعلم

5. كافّة

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافّة .)[57].

المد اللازم في قوله "كافّة.

وكافة في اللغة تعني (والكافة الجماعة، قال أبو إسحاق في قوله تعالى يا أيها الذين أمنوا ادخلوا في السلم كافّة قال كافة بمعنى الجمع والإحاطة)[58].

إذاً فلفظ كافة يعني فيما تعنيه الشمول والإحاطة، وهذا امتداد في المعنى ليشمل الجميع، لكن ما العلاقة بين هذا الشمول وهذه الإحاطة وبين هذا المد اللازم في هذا اللفظ ؟

يقول ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية (كافة اسم يفيد الإحاطة بأجزاء ما وصف به، وهو في صورة صوغه كصوغ اسم الفاعلة من كف، ولكن ذلك مصادفة في صيغة الوضع، وليس فيها معنى الكف ولا حاجة إلى تكلف بيان المناسبة بين صورة لفظها وبين معناها المقصود في الكلام لقلة جدوى ذلك، وتفيد مفاد ألفاظ التوكيد الدالة على الشمول والإحاطة .)[59]

وأجد نفسي أمام هذا القول مضطراً لأن أقول بقول غيره، فنحن نحس من خلال هذه الكلمة المحدودة المبنى معان كثيرة ومتعددة، ونجد كذلك مناسبة بين صورة لفظها ومدها اللازم الموجود فيها وبين معناها المقصود في الكلام ، يتضح لنا ذلك من خلال معرفة الدلالة التي تدل عليها كلمة السلم "

(57) سورة البقرة آية 208 .

(58) لسان العرب ج 5 ص 3904 .

(59) التحرير والتنوير ج 2 ص 278 .

الواردة في الآية حيث يذكر المفسرون أنها تحمل معنى الإسلام وشرائعه، وتحمل معنى الصلح والسلام، وعلى هذا فإن المعنى أن تدخلوا أيها المؤمنون في الإسلام بكلياتكم وفي ذوات أنفسكم وفي الصغير والكبير من أمركم ، أن تستسلموا الاستسلام الذي لا تبقى بعده بقية ناشزة من تصور أو شعور، بل يسلموا أنفسهم كلها لله؛ فلا يعود لهم منها شيء، ولا يعود لنفوسهم من ذاتها حظ، إذاً فالمسألة لازمة، فالإيمان ببعض والكفر ببعض ليس من صفات المؤمنين، ولذلك جاء المد لازما

هذه إشارات في علاقة المد اللازم بالمعنى ، وأن المد يأتي ليضفي على النص إيحاءاً لم يكن ليظهر لو لم يوجد المد

والكلام هنا أطول من هذا ، لكن هذا مفاده طلبا للإيجاز

ثانياً: المد الجائز المنفصل :

سُمّي جائزاَ لاختلاف القراء في مدّه ـ كما سبق ـ فبعضهم يمدّ وبعضهم لا يمدّ ، وسُمّي منفصلاً لأن حرف المدّ في كلمة والهمز في كلمة أخرى

كما يطلق عليه مدّ البسط، لأنه يبسط بين كلمتين، ويقال مدّ الاعتبار لاعتبار الكلمتين من كلمة، ويقال مدّ حرف لحرف أي مدّ كلمة لكلمة

شواهد المد الجائز المنفصل:

1. يقول تعالى على لسان نبيه هود عليه السلام (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه .)[60]

المدّ في (توبوا إليه) إنه أمر بالتوبة، فهل جميع الناس يتوب ؟

(60) سورة هود آية 52 .

إن بعضا منهم يتوب، وبعض لا يتوب، وكذلك المدّ بعضهم يمّد وبعضهم لا يمدّ، كما أنه مدّ منفصل، وهذا واضح أيضاً، فالتوبة لكي تنفع صاحبها لابد من أن تقبل، فالتوبة من العبد والقبول من اللّه، فإذا لم يوجد القبول فلن يتحقق الغرض من التوبة،كذلك المدّ فحرف المدّ في كلمة والهمز في أخرى، ولو لم يوجد الهمز لما تحقق المدّ

2. قال تعالى (قولٌ معروفٌ ومغفرةٌ خيرٌ من صدقةٍ يتبعها أذى)[61] المدّ في (يتبعها أذى).

والسؤال هنا هل كل صدقة يتبعها أذى ؟ الإجابة بالتأكيد لا ،فهناك صدقات يتبعها أذى، وهناك صدقات لا يتبعها أذى، إذا فالمسألة مختلف فيها كما هو الحال في المدّ الجائز

قال القرطبي (والمراد الصدقة التي يمن بها ويؤذى، لا غيرها، والعقيدة أن السيئات لا تبطل الحسنات ولا تحبطها، فالمن والأذى في صدقة لا يبطل صدقة غيرها)[62].

ثم إن الحكم الذي تقرره الآية من أن قول المعروف والمغفرة خير من الصدقة لا يكون إلا في حالة وجود الأذى بعدها، وكذلك هو المدّ لا يكون في الحرف إلا إذا أتبعه همز، فإذا لم يتبعه همز فلا يتحقق المدّ، وتلك كذلك، فالصدقة إذا لم يتبعها أذى خير من قول معروف ومغفرة، واللّه أعلم

3. قال تعالى (وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم - .الآية)[63] المد في (تسترضعوا أولادكم)

(61) سورة البقرة آية 263 .

(62) الجامع لأحكام القرآن الكريم - ج2 ص 202

(63) سورة البقرة آية 233 .

قال القرطبي (أي لأولادكم غير الوالدة ، قاله الزجاج ، وقال النحاس التقدير في العربية أن تسترضعوا أجنبية لأولادكم)[64]. وجاء في التحرير والتنوير (أي إن أردتم أن تطلبوا الإرضاع لأولادكم فلا إثم في ذلك ، والاسترضاع أصله طلب إرضاع الطفل، أي طلب أن ترضع الطفل غير أمه ، فالسين والتاء في تسترضعوا للطلب ومفعوله محذوف ، وأصله أن تسترضعوا مراضع لأولادكم، لأن الفعل يعدى بالسين والتاء ـ الدالين على الطلب ـ إلى المفعول المطلوب منه الفعل، فلا يتعدى إلا إلى مفعول واحد وما بعده يعدى إليه بالحرف)[65].

فلماذا حذف الحرف إذاً ؟ وما السر وراء حذف اللام من السياق ليتحول الأمر إلى مد جائز منفصل تسترضعوا أولادكّم بدلا منّ تسترضعوا لأولادكّم ؟

هل هناك ارتباط بين هذا المد وبين دلالة الآية ومعناها ؟

للإجابة عن هذا التساؤل نحتاج إلى العودة إلى فهم معنى الآية والموضوع الذي تتحدث عنه

إنها تتحدث عن إرضاع الأولاد من قبل غير أمهاتهم في حالة تعذر على الوالدة إرضاعه، لمرضها، أو تزوجها، أو إن أبت ذلك، حيث يجوز لها الإباء ، قال القرطبي (وعلى هذا يكون في الآية دليل على جواز اتخاذ الظئر إذا اتفق الآباء والأمهات على ذلك)[66] إذاً فالحكم هو الجواز، فقد دل قوله تعالى على أنه ليس المراد تشريع وجوب الإرضاع على الأمهات، بل المقصود تحديد واجبات المرضع على الأب، وأما إرضاع الأمهات لأولادهن فموكول إلى ما تعارفه الناس،

(64) الجامع لأحكام القرآن الكريم ج 3 ص 115 .

(65) التحرير والتنوير ج 2 ص 439 .

(66) الجامع لأحكام القرآن الكريم ج 3 ص 116 .

والأصل في العرف أن الأم يلزمها رضاع ولدها، إلا أن مالكا رحمه الله دون فقهاء الأمصار استثنى المرأة ذات الحسب، فقال لا يلزمها رضاعة ، فأخرجها من الآية وخصصها بأصل من أصول الفقه وهو العمل بالعادة .[67]

ومن هنا نجد أنه وانطلاقا من المد الجائز المنفصل الموجود في الآية ما يلي

1. يجوز للأم أن ترضع ولدها، ويجوز لها أن تأبى إرضاعه
2. في حالة انفصال الوالدين عن بعضهما، يجوز أن ترضع الأم ولدها مقابل أجر معلوم ، ويجوز أن يتخذ للولد مرضعاً وهذا على الأب، قال الزمخشري (وعليه أن يتخذ له ظئرا إلا إذا تطوعت الأم بإرضاعه، وهي مندوبة إلى ذلك ولا تجبر عليه)[68] .
3. اختلف الفقهاء في مسألة جواز استئجار الأم لإرضاع ولدها، فعند أبي حنيفة رحمه الله لا يجوز استئجار الأم ما دامت زوجة أو معتدة من نكاح ، وعند الشافعي يجوز .

إذاً نجد من خلال ما سبق علاقة وثيقة بين المعنى وحكم المد الجائز المنفصل، فكما أنه يجوز للقارئ أن يمد، فكذلك يجوز للأب أن يسترضع مرضعاً ليمد لولده فترة الرضاعة ليستوفي حولين كاملين إن أراد أن يتم الرضاعة والله أعلى وأعلم

4. قال تعالى (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم)[69].

المد في قوله ولا تقتلوا أولادكّم ، فهل كان المقتول هو جنس الأولاد جميعاً ذكوراً وإناثاً ؟ يجيب ابن عاشور على هذا التساؤل قائلاً (والمراد

(67) التحرير والتنوير ج 2 ص 441 .
(68) الكشاف ـ ج1 ص 307 .
(69) سورة الإسراء آية 31 .

بالأولاد خصوص البنات لأنهن اللاتي كانوا يقتلونهن وأداً ، ولكن عبر عنهن بلفظ الأولاد في هذه الآية ونظائرها لأن البنت يقال لها ولد)[70]، والمعروف أنهم كانوا يقتلون الذكور خشية الفقر ويقتلون الإناث خشية العار، وأياً كان فأنا أعتقد أن هناك علة أخرى في إيراد لفظ الأولاد بدلا من لفظ البنات أو الفتيات ليتوافق اللفظ مع المد في هاتين الكلمتين ليعطينا مداً جائزاً منفصلاً، وهنا نسأل أنفسنا سؤالاً آخر هو هل كان كل المشركين يقتلون أولادهم ؟

نجد الإجابة على هذا التساؤل عند ابن عاشور في تفسيره للآية 137 من سورة الأنعام قوله تعالى (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم .) ، حيث قال(وإنما قال لكثير من المشركيّن لأن قتل الأولاد لم يكن يأتيه جميع القبائل ، وكان في ربيعة ومضر ، وهما جمهرة العرب وليس كل الآباء من هاتين القبيلتين يفعله)[71].

إذاً ليس كل المشركين يقتل ولده ، بل قبيلتان فقط ، ثم ليس كل الآباء في القبيلتين يقتل ولده ، فهناك من يقتل وهناك من لا يقتل ، وفي المد الجائز هناك من يمد وهناك من لا يمد

ليس هذا فقط، بل إن قتل الأولاد كان بحجة خشية الإنفاق ، فكأن المعنى أن الآباء الذين يقتلون أولادهم لا يقتلونهم إلا خوفا من الفقر والإملاق ، فإذا وجد هذا التخوف وجد القتل أما إذا لم يوجد فإن القتل كذلك لا يحدث ، وهو كذلك في المد فإن المد يكون لأن حرف المد في كلمة والهمز في كلمة أخرى فإن لم يوجد الهمز لا يوجد المد، وهذه علاقة أعتقدها كذلك وربي أعلى وأعلم

(70) التحرير والتنوير ج 7 ص 88 .

(71) التحرير والتنوير ج 5 ص 99 .

5. قال تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ..)[72].

المد في قوله" فمحونا آية ، و"جعلنا آية

فيا ترى هل هناك علاقة بين هذا المد الجائز المنفصل في هذين الموضعين وبين المعنى العام لهذه الآية؟ وللإجابة عن هذا التساؤل لابد لنا أن نتعرف على المعنى العام للآية

يقول الشوكاني "(فمحونا آية الليْل أي طمسنا نورها ، وقد كان القمر كالشمس في الإنارة والضوء وقيل المراد بمحوها أنه سبحانه خلقها ممحوة الضوء مطموسة ، وليس المراد أنه محاها بعد أن لم تكن كذلك "، وجعلنا آية النهار مبصرّة أي جعل سبحانه شمسه مضيئة تبصر فيها الأشياء)[73].

وهنا نحتاج إلى معرفة الشيء الممحو ، هل هو الليل ذاته أم شيء آخر ، وما العلاقة الإعرابية بين لفظ آيةٌ واللفظة التي بعدهاّ الليل،" النهار. وفي هذا يقول الزمخشري (فيه وجهان أحدهما أن يراد أن الليل والنهار آيتان في أنفسهما فتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين كإضافة العدد إلى المعدود أي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة والثاني أن يراد وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين ، يريد الشمس والقمر ، فمحونا آية الليل أي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسا مظلما لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحو ، وجعلنا النهار مبصرا أي تبصر فيه الأشياء وتستبان، أو فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم نخلق لها شعاعاً كشعاع

(72) سورة الإسراء آية 12 .

(73) فتح القدير ج 3 ص 212 .

الشمس فترى به الأشياء رؤية بينة، وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء)[74].

إذاً فهناك خلاف، هل المقصود هو الليل أم القمر ؟ وهنا لابد من بيان أن هذا المد الموجود في الموضعين لابد وأن له علاقة ببيان وترجيح أحد هذين الرأيين

نقول بداية إن اللّه سبحانه وتعالى قال" آية الليل ، آية النهار ولم يقل الليل والنهار ، وهذا لاشك لغاية وحكمة ، قال القرطبي:(لم يقل فمحونا الليل، وجعلنا النهار، فلما أضاف الآية إلى الليل والنهار دل على أن الآيتين المذكورتين لهما لا هما)[75] .

إذاً فهناك انفصال بين الليل والآية الممحوة، وكذا النهار وآيته المبصرة، ولا أدري هل هذا يكفي لبيان طبيعة العلاقة بين هذا النوع من المد والمعنى العام للآية أم أنه لا يكفي ؟ أعتقد أن ذلك يكفي

ثالثاً: المد الواجب المتصل:

قبل أن أعرض لشواهد المدّ الواجب المتصل، أذكر بأن المدّ الواجب المتصل يُسمّى واجباً لإجماع علماء القراءات على وجوب مدّه، ومتصلاً لأن حرف المدّ والهمزة في كلمة واحدة

شواهد المد الواجب المتصل:

1. **السماء:**

مشتقة من السّمُوّ وهو الارتفاع والعلو، قال الزجاج (السماء في اللغة يقال لكل ما ارتفع وعلا) [76]، وهنا نذكر بأن الارتفاع هو احد المعاني التي قد يعنيها المدّ

---

(74) الكشاف ج 2 ص 440 .

(75) الجامع لأحكام القرآن ج1 ص 149 .

(76) لسان العرب ج3 ـ ص2107 .

المد في السماء متصل، فهل السماء في ذاتها ممتدة ؟ يقول الكفوي (كل أفق من الأفاق فهو سماء)[77]، والأفق ممتد بل وما يزا ل يتمدد ويتسع ، فقد اكتشف العلماء أخيراً أن كل المجرات تبتعد عن بعضها بسرعات تتناسب مع أبعادها عنا وعن بعضها بعضاً، وقد ظهر أن المجرات البعيدة تبتعد عنا بأسرع مما تبتعد به المجرات القريبة، وأن أسرع معدل للابتعاد حتى الآن أمكن قياسه بـ 40.000 ميل في الثانية، إنهم يعلنون إذن أن الكون يتسع ويتمدد ويقولون (إنه في اتساعٍ دائم)[78] ، ويعللون لذلك بقولهم (لأن الخالق الأعظم أراد أن يكون خلق المادة مستمراً ، وهذا يدفع الكون إلى التمدد ، لأن خلق المادة يؤدي إلى مطّ الفضاء مطاً كالبالون ، وهذا يؤدي إلى تباعد تجمعات المجرات بعضها عن بعض)[79].

لقد أصبح تمدد الكون واتساعه حقيقة علمية وأصبح يعّد من أعظم الظواهر التي اكتشفها العلم الحديث، فهو كالبالونة التي تنفخ كل يوم نفخة فتتسع البالونة بقدر النفخ، إلى أن يأتي يوم ينفخ فيها نفخة واحدة فتنفجر البالونة، وينتهي كل شيء [80].

فالسماء في تمدد وزيادة واتساع، وتعال بنا نقرأ قول المولى عز وجل (والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون)[81].

من هنا يمكننا الربط بين تمدد السماء واتساعها، وهذا المدّ المتصل في لفظها.

---

(77) الكليات ـ ص495 .

(78) فردهويل ـ مشارف علم الفلك ـ ت إسماعيل حقي ـ سلسلة الألف كتاب ـ دار الكرنك ـ القاهرة ـ ص 37.

(79) خضر:عبدالعليم ـ الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن ـ ط3ـ الدار السعودية ـ جده ـ 1987م ـ ص 105.

(80) منصور محمد ـ الكون والإعجاز العلمي للقرآن ـ ط2 ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ 1991م ـ ص282.

(81) سورة الذاريات آية 47.

2. ، 3. **جزاء** ، **عطاء**:

جاء في وصفه تعالى لما للمتقين من مفاز في سورة النبأ بأنه (جزاءً من ربك عطاءً حساباً)[82].

ونلحظ هنا مجيء لفظيّ جزاءً ، عطاءً ممدودين مداً متصلاً، فما وجه الدلالة في ذلك ؟

ورد في المعجم الوسيط (جزى جزاءً كفى وأغنى ، وجازاه أثابه وعاقبه)[83] ، وفي الكليات

(جزاء يقال في النافع والضار)[84] إذاً فلفظ الجزاء لفظ ممتد يشمل الشئ ونقيضه

والعطاء قال فيه الكفوي (العطاء للغني والفقير والناس لا يحصون)[85] ، وقال تعالى (كلاً نمدّ هؤلاء و هؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً)[86]، فهو عطاء ممتد ليشمل المؤمن والكافر ، الغني والفقير

هذا من جانب ، و من جانب آخر وعند رؤيتنا للآية الكريمة من سورة النبأ وكلام المفسرين عنها ، نجد الأتي

يقول الرازي (عطاءً حساباً أي بقدر ما وجب له فيما وعده من الأضعاف ، لأنه تعالى قدر الجزاء على ثلاثة أوجه وجه منها على عشرة

---

(82) سورة النبأ آية 36 .

(83) المعجم الوسيط ج1 ص 126 .

(84) الكليات ص 48 .

(85) المصدر نفسه ص 654 .

(86) سورة الإسراء آية 20 .

أضعاف، ووجه على سبعمائة ضعف ووجه على مالا نهاية له، وقال ابن قتيبة (عطاءً حساباً) أي كثيراً، و أحسبت فلاناً أي أكثرت له)[87].

وقال ابن عاشور (ووصف الجزاء بعطاء وهو اسم لما يعطى ، أي يتفضل به بدون عوض للإشارة إلى أن ما جوزوا به أوفر مما عملوه ، فكان ما ذكر للمتقين من المفاز وما فيه من جزاء شكراً لهم ، وعطاءً كرماً من الله تعالى، وكرامة لهذه الأمة، إذ جعل ثوابها أضعافاً ، وحساباً اسم مصدر حَسبَ يحُسب إذا عدّ أشياء، فوقّع حساباً صفة جزاء أي هو جزاء كثير مقدر على أعمالهم والتنوين فيه للتكثير)[88].

إذاً فهو جزاء ممتد وعطاء كثير ألا ترى إلى إيضاح ذلك في قوله تعالى (وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاءً غير مجذوذ) [89]، فالعطاء هنا يفسر العطاء هناك إنه عطاء غير مجذوذ قال القرطبي (أي غير مقطوع)[90] ، وقال الزمخشري (غير مقطوع ، ولكنه ممتد إلى غير نهاية)[91]، وهذا هو رأي جمهور المفسرين [92].

من هنا ندرك طبيعة العلاقة بين هذا المدّ المتصل في جزاء ، وعطاء ومعنى اللفظين سواء أكانا منفردين أم داخل السياق القرآني.

(87) الفخر الرازي محمد بن عمر ـ التفسير الكبير ـ ط3ـ دار الفكر ـ بيروت ـ 1985م ـ ج13 ص 230 .
(88) التحرير والتنوير ـ ج 30 ص 47 .
(89) سورة هود آية 108 .
(90) الجامع لأحكام القرآن الكريم ـ ج 5 ص 69 .
(91) الكشاف ـ ج 2 ص 236 .
(92) أنظر فتح القدير ج 2 ص 759 .

4. **جاء**:

أغلب المعاجم اللغوية تُجمع على أن "جاء" بمعنى "أتى". فهل هما كذلك فعلاً ؟ لننظر في ذلك

" جاء" فعل ماضٍ ممدود مداً متصلاً ،" و "أتى" فعل ماضٍ مقصور آخره ألف مقصورة، وكلاهما يفيد معنى الحضور، ولكن هل المجيء بما فيه من مد متصل يمكن أن يطلق على نفس الحدث الذي يدل عليه الفعل المقصور "أتى".

من خلال العلاقة التي نقرر وجودها بين المدّ والمعنى يمكننا القول بوجود فرق بين "جاء" و"أتى"

فجاء بما فيها من مدّ يمكن أن تطلق على حدث الحضور من مسافة ممتدة، أو الحضور مع صعوبة ومشقة يواجهها المرء في حضوره ، أما أتى بما فيها من قصر فيمكن أن تطلق على حدث الحضور من مسافة قصيرة حضوراً ليس فيه مشقة ولا تعب

ألا ترى معي إلى قول الله تعالى (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى)[93].

قال القرطبي (ومنزله عند أقصى باب من أبواب المدينة)[94]، وقال الألوسي (وجاء من أقصى المدينة أي من أبعد مواضعها)[95].

وكذلك عندما بعث فرعون في المدائن حاشرين ليأتوه بكل سحار عليم:(فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحنُ الغالبين)[96].

لقد كان مجيئهم من المدائن البعيدة فهو مجيء من مسافة ممتدة

---

(93) سورة يس آية 20 .

(94) الجامع لأحكام القرآن الكريم ج 8 ص 14 .

(95) روح المعاني ج 22 ص 225 .

(96) سورة الشعراء آية 41 .

أما أتى فانظر معي إلى هذه الآية (فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى)[97].

إن هذه الآية الواحدة القصيرة تحكي حدوث ثلاث حركات متواليات ذهاب فرعون وتوليه، وجمع الكيد، والإتيان به

والإتيان كان من قصر فرعون إلى المكان المتفق عليه وهو ميدان الاحتفال بالعيد ، وفي ضوء ما ذكره ابن عاشور من أن قلب المدينة هو مسكن حكامها ، إذ المعتاد أنهم يسكنون وسط المدينة[98].

في ضوء هذا نعتقد أن المسافة بين قصر فرعون وميدان الاحتفال مسافة قصيرة ليست بالممتدة، لذلك جاء فعل (أتى) المقصور

ثم لننظر إلى قوله تعالى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه)[99].

وأمر الله قريب ألا ترى إلى قوله تعالى (إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً)[100].

من هنا أيضاً ندرك مدى العلاقة التي تربط نوع المدّ بالمعنى، وهذا واضح لمن تأمله

5. **الملائكة**:

المد فيها واجب متصل، والملائكة كما جاء وصفهم في القرآن الكريم ذوو أجنحة متزايدة، قال تعالى (الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير)[101].

---

(97) سورة طه آية 60 .

(98) التحرير والتنوير ج 22 ص 366 .

(99) سورة النحل آية 1 .

(100) سورة المعارج آية 6 ، 7.

(101) سورة فاطر آية 1

قال الزمخشري (والمعنى أن الملائكة خُلقاً أجنحتهم اثنان اثنان أي لكل واحد منهم جناحان، وخلقاً أجنحتهم ثلاثة ثلاثة، وخلقاً أجنحتهم أربعة أربعة)[102].

وقال ابن عاشور (وذلك قد تتعدد صفوفه فتبلغ أعداداً كثيرة)[103].

ثم لنلحظ قوله تعالى (يزيد في الخلق ما يشاء)، قال القرطبي (أي في خلق الملائكة في قول أكثر المفسرين)[104].

إذاً فالله سبحانه وتعالى يزيد في خلق الملائكة ما يشاء، أي يمّدهم في الخلق ، لأن المدّ هو الزيادة

ثم لننظر في وصف بعض الملائكة كما ورد في الأحاديث الصحيحة فقد ورد في صحيح مسلم عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح، وعن الزهري أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم (يا محمد لو رأيت إسرافيل إن له لأثنى عشر ألف جناح، منها جناح بالمشرق وجناح بالمغرب الحديث)[105]، فأي امتداد هذا، والأحاديث كثيرة في هذا الباب، نكتفي بما أوردناه لنصل إلى إيضاح علاقة هذا المد المتصل في لفظ الملائكة بهذه المعاني المتصلة بذات الملائكة.

6. **ذائقة**:

وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع[106]، وجميعها جاءت مقترنة بذكر الموت " كل نفس ذائقة الموت "، والمدّ هنا واجب متصل وهو يوحي فيما يوحيه بأن الموت لابد وأن تذوقه كل نفس، فهو واجب التحقق ،

(102) الكشاف ـ ج 3 ص 266 .
(103) التحرير والتنوير ج 22 ص 250 .
(104) الجامع لأحكام القرآن الكريم ج 7 ص 205 .
(105) صحيح مسلم ج1 ص 126 باب بدء الوحي .
(106) آل عمران آية 185 ، الأنبياء آية 35 ، العنكبوت آية 57 .

كما أنه متصل بالنفس البشرية بل بكل حي، وهو ولاشك واقع على كل حي إلا الله عز وجل؛ ألا تقرأ معي قوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه)[107]. وتسمع معي إلى قوله عز وجل (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)[108]، إنها تزيد الأمر وضوحاً وجلاءً، وكذلك هو القرآن يفسر بعضه بعضا

هذه إشارات في علاقة المد بالمعنى، وأن المعنى يأتي ليضفي على النص إيحاءً لم يكن ليظهر لو لم يوجد المد

والكلام هنا أطول من هذا، لكن هذا مفاده طلبا للإيجاز

فهذا ونحوه ـ مما سبق ـ أمر إذا أنت أتيته من بابه ، وأصلحت فكرك لتناوله وتأمله أعطاك مقادته وأركبك ذروته ، وجلا عليك بهجاته ومحاسنه، وإن أنت تناكرته، وقلت هذا مذهب صعب موعر، حرمت نفسك لذته، وسددت عليها باب الحظوة به

وقد ذكرنا في الإبانة عنه وجيزاً من القول رجونا أن يكفي، وأملنا أن يقنع، والذي سطرناه وإن كان موجزاً، وما أمليناه فيه وإن كان خفيفاً، فإنه ينبه على الطريقة ويدل على الوجهة ويهدي إلى الحجة، ومتى عظم محل الشيء فقد يكون الإسهاب فيه غيّاً، والإكثار في وصفه تقصيراً

والله الموفق إلى سواء السبيل.

(107) سورة القصص آية 88 .

(108) سورة الرحمن آية 26ـ27 .

المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم**:

1. أنيس إبراهيم ـ الأصوات اللغوية ـ دون معلومات طبع.
2. البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ـ صحيح البخاري ـ ط 3 ـ دار ابن كثير ـ ضبط مصطفى البنا ـ دمشق ـ 1987م.
3. البغدادي: أبو القاسم علي بن عثمان ـ سراج القارئ المبتدئ وتذكار القارئ المنتهي ـ ت علي الصباغ ـ ط3 ـ مطبعة الحلبي ـ القاهرة ـ 1954.
4. البناء: أحمد عبدالغني الدمياطي ـ إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ـ دار الندوة ـ بيروت ـ د.ت.ط
5. ابن الجزري أبو الخير محمد ـ النشر في القراءات العشر ـ ت علي الضباع ـ دار الفكر ـ بيروت ـ د.ت.ط
6. ابن جني أبو الفتح عثمان ـ الخصائص ـ ت محمد علي النجار ـ ط 1 ـ المكتبة العلمية ـ القاهرة ـ 1952م .
7. سر صناعة الإعراب ـ ت حسن هنداوي ـ ط 2 ـ دار القلم ـ دمشق ـ 1993م.
8. خضر: عبدالعليم ـ الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن ـ ط 3 ـ الدار السعودية ـ جده ـ 1987م.
9. الداني أبو عمرو عثمان بن سعيد ـ التيسير في القراءات السبع ـ ت أوتويرتزل ـ ط1 ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ 1996 م.
10. الزمخشري: جار الله محمود بن عمر ـ أساس البلاغة ـ ط3 ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ 1985م.
11. الكشاف ـ دار الفكر ـ بيروت ـ د ت.ط .

12.سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان ـ الكتاب ـ ت عبدالسلام هارون ـ ط 3 ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ 1983.

13.الشوكاني محمد بن علي ـ فتح القدير ـ ت سعيد اللحام ـ المكتبة التجارية ـ مكة المكرمة .د.ت ط.

14.ابن عاشور محمد الطاهر ـ التحرير والتنوير ـ الدار التونسية للنشر ـ تونس ـ 1984م.

15.ابن عطيه أبو محمد عبد الحق بن غالب ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ـ ت المجلس العلمي بفاس ـ.د .م ط 1975م .

16.العنبتاوي سعيد بن أحمد بن علي ـ حلية القراء ـ ط 1 ـ دار العرفان ـ عمان ـ 1999 م

17.ابن فارس أحمد ـ مقاييس اللغة ـ دون معلومات طبع.

18.الفخر الرازي محمد بن عمر ـ التفسير الكبير ـ ط 3 ـ دار الفكر ـ بيروت ـ 1985م.

19.الفراهيدي الخليل بن أحمد ـ معجم العين ـ ت مهدي المخزومي ـ دار الهلال ـ القاهرة ـ د.ت.ط.

20.فردهويل مشارف علم الفلك ـ ت إسماعيل حقي ـ سلسلة الألف كتاب ـ دار الكرنك ـ القاهرة.

21.القرطبي أبو عبدالله محمد بن احمد ـ الجامع لأحكام القرآن ـ ت هاني الحاج وآخرون ـ المكتبة التوفيقية ـ القاهرة ـ د.ت.ط .

22.القيسني مكي بن أبي طالب ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع ـ ت محي الدين رمضان ـ ط5 ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ 1997.

23.الكفوي أبو البقاء ـ الكليات ـ ت عدنان درويش ـ ط 1 ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ 1992.

24.مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط ـ ط3 ـ القاهرة ـ 1981 م.
25.مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج ـ صحيح مسلم ـ ط1 ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ 1995م .
26.منصور محمد ـ الكون والإعجاز العلمي للقرآن ـ ط 2 ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ 1991م.
27.ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم ـ لسان العرب ـ نسقه علي شيري ـ ط1 ـ دار إحياء التراث ـ بيروت ـ 1988م.
28.النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ـ سنن النسائي ـ ط 1 ـ تصحيح محمد الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ 1988م.
29.النشار: أبو حفص ـ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ـ ت على معوض وآخرون ـ ط1 ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ 2000م.